

Time to talk

The Case for Diplomatic Solutions on Iran

EXECUTIVE SUMMARY

حان الوقت للكلام

قضية البحث عن حلول دبلوماسية للأزمة الإيرانية

ملخص تنفيذي

إن تصور أن تصبح إيران دولة نووية يسبب الكثير من القلق الحاد ليس فقط في الولايات المتحدة وإسرائيل، ولكن أيضا في أوروبا والشرق الأوسط ومعظم بقية دول العالم. وليس الغرض من هذا التقرير أن يضع تقديرات أو قياسات لاحتمال القيام بعمل عسكري ضد إيران، ولكنه يرمي إلى التنبيه إلى أن أي عمل عسكري محتمل في المستقبل يمكن أن يؤدي إلى نتائج عكسية تماما وإلى عواقب خطيرة للغاية. ومن هنا فإنه يجب معالجة القضية النووية الإيرانية باللجوء إلى الحلول الدبلوماسية ومواصلة النضال من خلالها بكل حزم.

برنامج إيران النووي - هل يمثل مدعاة للقلق العالمي؟

تصر الإدارة الإيرانية على أن أنشطتها النووية موجهة فقط نحو الحصول على الطاقة النووية للأغراض المدنية. ولكن هناك دولا كثيرة مقتنعة بأن إيران تركز جهودها لتصبح قوة نووية عسكرية ويجب أن لا يُسمح لها بتطوير قدرتها على إنتاج المواد النووية. وتكمن المشكلة في أن أي برنامج مدني للطاقة النووية يدار بالكامل تحت إشراف الدولة لابد أن يتضمن كل التكنولوجيات ذات الاستخدام المزدوج واللازمة لإنتاج مواد انشطارية عسكرية. لقدت حصلت إيران على قدر كبير من الدعم المحلي وبعض الدعم الدولي - شاملا جامعة الدول العربية وحركة عدم الانحياز - لرفضها التخلي عن حقوقها الشرعية، ولكن سجل إيران في تضليل مفتشي الوكالة الدولية للطاقة الذرية أدى إلى اهتزاز الثقة الدولية في النوايا الإيرانية ومدى استعدادها للقبول بوجود رقابة مُحكمة على برنامجها النووي.

ومنذ أن تنبه المجتمع الدولي إلى الأنشطة النووية السرية لإيران في 2002، فقد واصل التعامل بشأنها من خلال استراتيجيات دبلوماسية مختلفة. وعلى الرغم من التعرض لانتكاسات عديدة فقد تحقق قدر لا يستهان به من التقدم، مثل إشراك اللاعبين الرئيسيين (الصين وفرنسا وروسيا والولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا)، ولو بشكل غير مباشر في حالة الولايات المتحدة، ووضع حوافز جدية أمام الإيرانيين لإقناعهم بجدوى التعاون. ومع ذلك، فإن كثيرين في الإدارتين الأمريكية والإسرائيلية لا يزالون يتشككون في قدرة الدبلوماسية على أن تقدم شيئا. وعليه، فإن الخيار العسكري لا يبقى فقط مطروحا على الطاولة، ولكنه أيضا يمثل احتمالا قائما متوقعا الحدوث في عام 2007.

وبرغم أن النقاش تركز أساسا على أنشطة إيران في مجال تخصيب اليورانيوم، فإن إيران يمكنها أيضا صنع سلاح نووي بإعادة تدوير البلوتونيوم. ولضمان ألا تكتسب إيران قدرة نووية، فلا بد من سد كل من هذين الطريقتين. من المقرر أن يبدأ مفاعل بوشهر المدني لإنتاج الطاقة النووية عمله في سبتمبر/أيلول 2007 (سيكون الوقود النووي الوارد من روسيا في الموقع بدءا من مارس/آذار 2007). وبعد هذا التاريخ، فإن أي ضربات عسكرية على بوشهر يمكن أن يصدر عنها تلوث نووي شديد الخطورة لدرجة أن يبقى احتمال توجيه هذه الضربات أمرا مستبعدا. وتمثل فداحة هذا الخطر أهم الأسباب التي تمنع من القيام بمثل هذه المغامرات. وإذا كانت بوشهر على قائمة الأهداف فإن هذه الاعتبارات يمكن أن تعجل بأي خطط للقيام بعمل عسكري.

النتائج المحتملة للعمل العسكري

إن القيام بهجوم تقوده أمريكا أو إسرائيل على إيران سوف يؤدي على الأرجح إلى سلسلة من النتائج السلبية. وهذه النتائج قد تشمل:

- تعزيز الطموحات النووية الإيرانية.
- المزيد من عدم الاستقرار في الشرق الأوسط وعلى النطاق الأوسع، خصوصا في العراق وأفغانستان.
- اشتعال الحرب على الإرهاب.
- تفاقم أزمة تأمين الحصول على الطاقة، ونشوء صعوبات اقتصادية عالمية.
- الإضرار باقتصاديات الدول المتقدمة والنامية.
- التدهور البيئي.
- سقوط الضحايا من المدنيين.

تعزيز الطموحات النووية لإيران: من المتوقع في حالة القيام بعمل عسكري ضد إيران أن يتعمق إصرار النظام الإيراني على أن يصبح قوة تعتمد على الأسلحة النووية، كما قد يؤدي ذلك إلى انسحاب إيران من معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية. وقد يتصاعد التهديد الإيراني ببناء سلاح نووي، مما يدفع باحتمال المزيد من الانتشار النووي في المنطقة.

تفاقم حالة عدم الاستقرار: إن صلات إيران مع حزب الله في لبنان، وحماس في الضفة الغربية وغزة، فضلا عن الدوائر الشيعية في العراق وأفغانستان ودول الخليج تجعل القيام بأعمال انتقامية في المنطقة ضد أي هجوم عسكري على إيران أمرا وارداً. وستكون قوات المملكة المتحدة في العراق وأفغانستان على الأخص معرضة للهجوم وقد تُمنى بخسائر فادحة. أما فكرة القيام بمهمة محدودة في إيران فمن المرجح أنها سوف تبرهن على أنها وهم وخداع، تماما كما برهنت على ذلك في أفغانستان والعراق.

اشتعال الحرب على الإرهاب: إن الهجوم على إيران سوف يراه البعض على أنه عدوان على العالم الإسلامي، مما سيعمل على تأجيج المشاعر المعادية للغرب وإعطاء دفعة جديدة للمتطرفين في الداخل والخارج.

فوضى الطاقة: إن لدى إيران ثاني أكبر احتياطي من الهيدروكربونات وهي حاليا رابع أكبر منتج للنفط. وبالتالي فإن أي انقطاع لإمدادات النفط الإيرانية سوف يتسبب في خراب وفوضى في سوق النفط العالمي. إن محاولة إيران، أو حتى مجرد تهديدها بضرب إمدادات النفط عبر مضيق هرمز يمكن أن يققز بأسعار النفط إلى أكثر من 100 دولار للبرميل.

الأضرار الاقتصادية: يعتمد الاتحاد الأوروبي جزئيا على إمدادات النفط الإيرانية، وهو لذلك قد يعاني من الضغوط وربما يتعرض للكساد. وقد تضر الضغوط الناجمة عن التضخم بثقة المستهلكين في الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة. أما في الدول النامية، فإن ارتفاع أسعار النفط يمكن أن يؤدي إلى انخفاض الناتج المحلي الإجمالي وتفاقم الفقر وتقويض الجهود الرامية إلى التحرر من أعباء الديون.

التدهور البيئي: إن القيام بعمل عسكري ضد المنشآت النووية يمكن أن يؤدي إلى تلوث إشعاعي بالغ الخطورة. كذلك فقد ينتج عن القصف الجوي أو أعمال التخريب مظاهر أخرى للتلوث بسبب البقع النفطية وحرائق آبار النفط.

التأثير على الإيرانيين المدنيين: إن أي عمل عسكري ضد السكان المدنيين في إيران يمكن أن يكون له تأثيرات حادة. أما فكرة أن الضربات العسكرية سوف تكون محددة أو جراحية فلن تتحقق في الواقع حيث توجد منشآت إيران النووية بالقرب من المدن المكتظة بالسكان، وسيكون أولئك الذين يعيشون أو يعملون بالقرب منها مهددين بأخطار جسيمة. ومن المرجح أن المخططين الأمريكيين للحرب سوف يستهدفون أيضا مواقع عسكرية خارج نطاق المنشآت النووية تحسبا للهجمات المضادة، مما يضاعف من

الأخطار ضد المدنيين. وليس من المحتمل أن يكون العمل العسكري مجرد عملية سريعة وخاطفة، بل إنه سترك تأثيرات عميقة على المنطقة، وسوف يشعر بموجاتها الصادمة كثيرون من خارج المنطقة.

الدبلوماسية هي الخيار الوحيد القابل للتطبيق

لقد برهن الإيرانيون على أنهم الطرف الأصعب في المفاوضات. ولكن عدم الوصول إلى إجراء محادثات مباشرة بين إيران والولايات المتحدة ليس معناه أن الإمكانيات الدبلوماسية قد استنفذت بالكامل. إن أهم عقبة أمام المفاوضات - وهي مطالبة إيران بأن توقف عمليات تخصيب اليورانيوم قبل إجراء محادثات مباشرة مع الولايات المتحدة - مازالت قائمة. وإذا كان المطلوب كسب الامتيازات، ليس فقط فيما يتعلق بالملف النووي ولكن أيضا على مستوى القضايا الإقليمية الأوسع، فهناك الكثير مما يتعين عمله لدراسة مجموعة الحوافز التي طرحت في يونيو/حزيران 2006 لمعالجة بعض مخاوف إيران الأساسية، خاصة فيما يتعلق بالضمانات الأمنية. إن فكرة "الصفقة الكبرى" لا ينبغي التفاوضي عنها كلية. فما زالت توجد هناك خيارات دبلوماسية حقيقية، إذا ما أمكن إيجاد حل ينقذ ماء الوجه لإقناع الفرقاء بالجلوس إلى طاولة المفاوضات. إن خطورة الآثار المحتملة لعمل عسكري تجعل من الواجب على الحكومات أن تتحمل مسؤولياتها وأن تتأكد من استنفاد جميع الخيارات الدبلوماسية. وفي الوقت الحاضر، ليس هذا هو الحال.

وتعتبر حكومة المملكة المتحدة في وضع يؤهلها لإيضاح الاعتراضات على العمل العسكري. فالعمل العسكري ضد إيران سيكون ضد مصالح المملكة المتحدة. ويجب على المملكة المتحدة ألا تضع هذه الفرصة للدعوة إلى المشاركة الأمريكية المباشرة، وتعزيز قدرة الإصلاحيين داخل إيران وخلق الانطباع لديهم بأنها تتعامل بنزاهة وبالتالي فهي تضع الأسس لقيام علاقة فعالة مع إيران في المستقبل.

هذا التقرير لا يفند خطورة المسألة النووية الإيرانية، ولا خطورة التداعيات المحلية والإقليمية والعالمية إذا توصلت إيران إلى بناء قدرة نووية، ولكنه ينظر في العواقب المحتملة للقيام بعمل عسكري ضد إيران. وكما يبين هذا التقرير، فإن هذه العواقب قد تكون خطيرة جدا وأن الرضا النفسي بالنتائج المحتملة لضربة عسكرية يمكن أن يكون محفوفًا بالمخاطر.

إن ما يثير قلق المنظمات التي تبنت هذا التقرير أن الحجج المطروحة لتبرير القيام بعمل عسكري ضد إيران قد تجد من ينساق وراءها قبل أن يجري تحليل دقيق للنتائج المترتبة على مثل هذا العمل. وهي ليست تسعى إلى دراسة احتمالات العمل العسكري في المستقبل القريب. ولا تطرح أسئلة حول فرضية أن الضربات العسكرية الموجهة ضد المنشآت النووية في إيران ستؤدي بشكل فعال إلى انتكاس برنامج إيران النووي في المدى المتوسط إلى البعيد.

ومن المؤكد أن عواقب العمل العسكري مدعاة للقلق العميق. فالنتائج يمكن أن تكون مدمرة ليس فقط بالنسبة للملايين من الإيرانيين، وكثير منهم لا يشاطر الحكومة الحالية آراءها المتشددة، بل أيضا لمستقبل السلام في الشرق الأوسط، ولآمال الاستقرار التي بدأت أخيرا تترسخ في العراق، وللذين يعيشون في اقتصاديات الدول النامية، والذين سوف يتضررون بصورة غير متكافئة من ارتفاع أسعار النفط، وللنظام البيئي المتردي بالفعل في الخليج الفارسي. وللاقتصاد في بريطانيا والولايات المتحدة والدول الأوروبية.

إن الخيارات الدبلوماسية لم تستنفذ بعد. ولكن عدة عقبات هامة لا تزال قائمة أمام التوصل إلى اتفاق، ولا يزال هناك متسع من الوقت لبحث هذه الخيارات بشكل منهجي ودقيق. إن الموقعين على هذا التقرير جاءوا معاً لدعم أولئك الذين يسعون إلى إيجاد حلول دبلوماسية للمسألة النووية الإيرانية. ويركز هذا التقرير على الدور الحاسم الذي يمكن أن تقوم به حكومة المملكة المتحدة لإنجاح العمل الدبلوماسي. وبعد تفهم عواقب الهجوم على إيران بتداعياته الأكثر اتساعاً، فربما لن يكون هناك من خيار سوى التكتيف المباشر والقوي للعمل الدبلوماسي، مهما كانت درجة التحدي والإحباط التي يمكن أن تصاحبه.